غيمة عذراء

غيمة عذراء على سفح جسد،سقوط المطر على أنقاضه قد يزهر وجعا.

وحتى لا يتذوق طعم الملح المميت على شفتيها ترك لها القبلة على بعد أميال!!

أتساءل من يجيد قراءة آهاتها الممتدة بطول قامة الحنين؟!

تراه تذوق صوتها.. لامس نبضها..

ثمة جمر ينبت تحت رمادها.. ثمة عطر يتوسد صدرها كأنه عطره و زمانه قبل أن يقترف خَطِيئة النبض على الجسد.

هي.. تشبهه حد التوحد عطره يليق بوجعها..تبغه يليق بمزاجها..شرقيته المربكة تليق بها.

عبثا تمارس التناسي لتصبح هي رئته الثالثة ، مخالب ذكرى مندسة عمدا في أقصى يسارها، تراه يعانق غيمتها بصمت أم يضاجع الحنين عزلته؟!

هناك على صدر الورق مازالت جراحه تنزف من وريد مثقوب بخيبة ملامحها،يكتب لا ليجرح المعنى، بل ليسكب الملح على جرحها..

صمته مغري،للحد الذي يدفعها لسرقة قبلة من بين سكون شفتيه!!

شهية كل الأوقات التي تقضيها معه،ما بين ثرثرة الصمت وخشوع الكلام ترنحت..وأفسحت له المجال ليستلقي على حائِط اللحظة ويشتهيها..

هو يستعيد نبضه، وهي تستعيد أنفاسها..

الطرقات التي تؤدي إليه أصبحت خالية،باهتة الملامح،شرخ الصباحات فيها يزداد اتساعا بعد كل غياب..عبثا يحاول رتق أنفاسه بأنفاسها تاركا لها بقايا رجل ووسادة.

بعدما تراشق معها الأمنيات والقبلات تعمد الهروب بروح مسها العشق، وما كان عليها سوى أن تتلو تعاويذ الفراق والاغتسال بماء غيابه ثم الانتظار!

مذنب هو مع سبق الإغراق والترسب في قاع أقداحها،انتظارها له في حفرة موحشة مع فنجان من الأمل خَطِيئة! ستنعم بالراحة فقط عندما تتوقف الذاكرة عن ممارسة النكاية بمساحات قلبها الفارغة منه..

قرر هو أن يكتب حتى يزهق الرمق الأخير منها..
وقررت هي أن تنتظر اللاشيء منه..

رجل مثله يدعي فقر العاطفة برغم ثراءه الفاحش،فمحاولاته العبثية في الدخول لغيبوبة أنوثتها باءت بالفشل كان يظن أن رجولته ستكتمل عندما تجمع شتاته في أقصى يسارها ويدثر نبضه فيها إلى مثواه الأخير..

وظنت هي أن السيجارة المحشوة بفتات الذكرى ستعبر بها داخل زفراته المزدحمة بصدر الورق لتنفث فيها الوجع ثم ينتصر الرماد!

احتضار لحظات احتياجها له ببطيء اغتال أنفاسها زهق بداخلها ألف حلم، ألف ذكرى ورجل واحد..

" ثمة مواسم خالية من كل شيء إلا الوجع "

تساءلت في وجع هل ثمة من يستحق قلب ثان يدفعه للانصهار في لهيب الصدمة الأخيرة؟!!

كانت تبحث عنه بينها وبينه لربما ظل ترتديه،تحسست ملامحه على المرايا عندما سقطت جميع الأقنعة ونفذ رصيده من الوفاء،هو الموت والحياة في آن واحد.

كان عليها أن تمسح نافذتها بعدما مارس عليها المطر صلواته العنيفة..شاحبة هي الطرقات،مؤلمة انكسارات الأضواء، كان يترك لها علامات الاستفهام كمواسم الجراد تأكل أخضر الأمل ويابس اليأس فلا تترك لها إلا فتات الضوء في عتمة الشوق..

فمنذ سالف الفقد، وهي ترتق نبضها بنبضه وترمم رفات الحلم المنحور على صدره،كم يلزمها من الوجع لتقتنع أن هذا الرجل أصبح عاطلا عن النبض!!

كان يمر بمحاذاة الألم دون أن يصطدم به وكأنه يخبرها بطريقة ما " أنا لم أعد أشعر".

خلع معطف حزنه الثقيل ثم وضعه على أكتافها ورحل فخطفت أنامله بين كفيها وبصوت متقطع قالت: أنا التي دفعت بقلبها لتحجب عن صدرك حرقة الشمس فهل حان موعد احتراقي؟!

تخاف أن يبتعد.. يخاف الاقتراب.. تخشى فقده.. يخشى، فقد نفسه..تجرعت معه ألف خيبة وتسأله المزيد!..

تخنقه الساعة وتقتلها العقارب فكلاهما ضحية الوقت، روحها المبتلة بالصبر أوشكت على الجفاف فما أبشع المسافة عندما تكون أقرب من النبض،

تبقى الجراحات عالقة بالذاكرة وعبثا تريد مسحها ببلسم شفتيه العابر أتت قبلته كفرحة مبتورة، أشعلت برودته نيرانها.توقفت الكلمات على أعتاب صمتها..

ثمة صفعة أخبرتها أن تكتفي،أن تستوعب منعطف الفراق،أن تتحول إلى حكاية أخرى،أن تأخذ مكانها على الرف الأخير من ذاكرته وتنسى.

جميع أوراقه تساقطت ولا طاقة لها لتحمل خريفه، فهي أيضا بحاجة للربيع، أدركت بعد عام من الخيبة أن فاقد النبض لا يعطيه وعطره هو الكائن الحي الوحيد الذي كان ينبض فيه.